عقوق

الأيام بين جدرانها قاسية كوحدة مغترب في ليالي الشتاء، منذ أن جاء إلى هنا على يد الشرطة الشهر الماضي وهو يجلس تلك الجلسة البائسة بعد أن يستيقظ من نومه الذي لم يعد يعرف الاستغراق.

لقد أفنى حياته في تربيتهم، حتى جعل من ثلاثتهم الطبيب والمهندس وأستاذة الجامعة، لكنهم أثبتوا له -بعد هذا العمر- أنه لم يحسن التربية، حين حملهم الطمع على الزجِّ به بين جدران المشفى زاعمين فقدانه لقواه العقلية.

_ هل يعقل ذلك يا حاج (عبيد)، يتهمونك بالجنون فقط لأنك أردت أن تتزوج؟!

_ هكذا فعل أبنائي يا دكتور، إلا لو ارتأيت جنابك أنني مجنون بالفعل..!

_ اطمئن، سنقدم للمحكمة ما يؤكد الحقيقة، لا تقلق.

يطمئنه الطبيب، يظن أن همه هو مفارقة هذه الجدران، غير أن همه الأكبر هو خيبة أمله في من حسبهم امتداد ذكره في هذه الحياة، لكن المال الذي جمعه لأجلهم حال بينه وبين قلوبهم.

_ لم يؤلمني ما فعله (عادل وماجد)، لقد اعتدت القسوة منهما، لكن كيف أطاعتهم (سهام)؟! هذا ما يجعل قلبي مرجلًا يغلي.

قابل كثيرًا من المهزومين مثله، رأى ذلك الذي أتى به أهله من أقصى الصعيد، ألقوه هنا في مشفى العاصمة؛ حتى لا يلحق بهم عار إصابته بانفصام الشخصية، رأى أعدادًا من المنسيّين الذين افتقدوا من يسأل عنهم منذ أن وطئت أقدامهم أرض المشفى،

التي أصبحت مأواهم الوحيد.

_ ابقى تعالى زورني يا محمود ما تعملش زي ولادي.

قالها أحد المهزومين الذي نسيه أهله، ولم يتذكره بالزيارة سوي ابن صديق له.

مرت الأيام وتلتها الشهور، ولا خبر يأتي عن خروجه رغم أن الطبيب قد أكد له غير مرة أنها (مسألة وقت).

اعتاد الحياة هنا، عقوق أبنائه الذي لا يعرف له سببًا مُدْيَة تنغرز بقلبه، تمنى أن يراهم ولو لمرة واحدة؛ يخبرهم فيها أنه عدل عن رغبته في الزواج، تلك الرغبة الكاشفة التي أسقطت أقنعتهم.

لم يعد له مهرب سوى النوم، يبثّه قهره وخيبته ويكرمه الأخير بمسكّن يتغلب به على بعض آلامه.

أمل بدا في الأفق، سيخرج من المشفى، وسيُحكم ببطلان دعوى أبنائه، بعد مرور شهور قضاها هنا جاء الطبيب؛ ليزُفَّ له البشرى، غير أن الموت كان أسبق منه إليه..!